

العلامة السيد سليمان الندوي

كما يراه الشاعر الإسلامي الدكتور محمد إقبال رحمه الله

بقلم : فضيلة المفتي محمد شاهجهان الندوي
القائم بأعمال التدريس والإفتاء بالجامعة الإسلامية أعظم كره - الهند

من الحقائق الناصعة أن أرض الهند أنجبت رجالات وعباقرة ، قاموا بأعمال جليلة ومآثر علمية عظيمة ، لم تعترف بها الهند فحسب ، بل اعترف بها العالم كله .

إن هؤلاء الجهابذة قد حكموا قلوب الناس بعلومهم وأقلامهم ، وأفاضوا من سيل معلوماتهم وتجاربهم وآرائهم على الإنسانية كلها . وعلى رأس هؤلاء العباقرة وفي طليعتهم في التاريخ المعاصر العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى ، ولد هذا الحبر الجليل في قرية تسمى "سننا" في شمال شرقي "بهار شريف" على نحو ثمانية كيلومترات منها في ٢٢/من نوفمبر سنة ١٨٨٤م .

و والده هو السيد أبو الحسن وكان طبيباً ، صالحاً متديناً ، فترعرع السيد في جو علمي كريم وفي بيئة صلاح ودين ، يتقلب في أعطاف العلم ، تعلماً وتعليماً - فأبوه - على حد تعبير شيخ محمد إكرام (١) .

كان رجلاً صالحاً متعبداً من صلحاء ولاية "بهار" فالندوي عاش في كنف والده وتتلذذ عليه ، وتلقى مبادئ العلم في قرينته .

ولما بلغ الثالثة أو الرابعة عشرة من عمره ، أرسله والده لتلقى مزيد من العلم إلى "فلواري" وقرأ هناك بعض الكتب الدراسية منها "الهداية"

(١) انظر : "موج كوثر" : ص/٣٥٣ .

و "شرح التهذيب" ، ثم سافر إلى "تربتغا" ومكث هناك سنة ، وقرأ بعض الكتب المتداولة ، ثم سافر إلى "كناؤ" والتحق بدار العلوم التابعة لندوة العلماء سنة ١٩٠١ م .

وقرأ على أساتذة ندوة العلماء البارعين الحائزين ، واستفاد منهم استفادة عظيمة .

لقد شرف العلامة شبلي النعماني - رحمه الله - دار العلوم لندوة العلماء بقدمه الميمون ، لأجل التدريس سنة ١٩٠٥ م ، بعد ما استقال من جامعة "حيدرآباد" وعرف الأستاذ الخبير القدير المتفطن ، هذا الدر الغالي فأخذ السيد تحت إشرافه وتربيته ، واختص السيد به ولازمه . وقد كان مذاق السيد للغة العربية وآدابها جيداً جداً من قبل ، فلما صار تحت إشراف العلامة شبلي رحمه الله صفاً نوقه وزاده صفاءً بتربيته وعذب منطقته .

وفي سنة ١٩٠٧ م حينما كان السيد في نهاية دراسته ، عقدت حفلة تعميم المتخرجين في دار العلوم لندوة العلماء في قاعة "رفاه عام" بلكناؤ ، وخطب فيها كثير من الطلاب وخطب السيد الندوي أيضاً حول : "العلوم الحديثة والقديمة" وبينما كان السيد يخطب إذ قام أحد من المستمعين ، وقال : إن هذا الطالب إذا خطب باللغة العربية ، فنحن نوقن ببراعة ندوة العلماء وتفوقها في التعليم والتدريس .

وبعد ما سمح السيد قول هذا القائل بدأ يخطب باللغة العربية وأخذ سحب الهدوء والسكينة يغشى الحفل ، وبدأ السيد يأخذ بمجامع قلوب الناس ، ولما بلغ الخبر إلى العلامة شبلي رحمه الله ، قدم بسرعة وسأل السيد قائلاً : "إن أعطيتك عنواناً في هذا الوقت ، فهل أنت تستطيع أن تخطب مرتجلاً بدون تلثم وتوقف ، فأجاب السيد : نعم ، إنني أستطيع ، إن شاء الله تعالى ، فقام العلامة شبلي على المنصة .

وقال - و هو يخاطب المستمعين - : إن هذا الطالب الذي خطب

العلامة السيد سليمان الندوي

أمامكم ، يمكن أن يجول بخاطر أحد بشأن خطبته : لعل هذا الطالب كان قد أعد هذه الخطبة من قبل ، فإذا أراد أحد أن يزيل هذه الشبهة ، فعليه أن يعطيه عنواناً .

فقام الخواجة غلام الثقلين وحدد عنواناً ، وهو : "ما هو الطريق السديد لنشر الإسلام في الهند" ، وجعل السيد يلقي بآرائه ويبدى بأفكاره حول هذا الموضوع ، وبدأت هتافات التحبيذ والتهنئة والإشادة بخطبته ترتفع من كل جانب ، ولم يتمالك الأستاذ الموقر نفسه من شدة الفرح والسرور ، فخلع عمامته وعم رأسه (١) .

هذه هي براعة السيد وكفاءته في اللغة العربية ولذلك عد من كبار أدباء العربية .

ولم تزل ندوة العلماء تتمتع بحذقه ومهارته ، وقد كان أستاذاً فيها . ثم لم يزل معتمد التعليم لدار العلوم التابعة لها إلى وفاته ، وقد أشار عليه أستاذه الجليل العلامة شبلي نعماني رحمه الله سنة ١٩١٤م أن يذهب إلى كلية "فونا" التابعة لجامعة "بومباي" ، فذهب إليها ودرس هناك آداب اللغة الفارسية ، وكان محل ثقة بين الأساتذة والطلبة ، واستقال منها سنة ١٩١٥م ، وقدم إلى أعظم كره .

وأسس دار المصنفين فعلاً ، بعد ما كان أستاذه وضع حجر الأساس لهذه المؤسسة ، وانقطع إليها ، وانهمك في أشغال علمية ، وقام بمآثر علمية وخدمات قيمة ، بها ذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق ، ووصلت شمس صيته إلى نصف السماء ، وصدرت من ريشات قلمه لآلي أدبية ومقالات علمية أشعلت مجامر قلوب الناس وهزت أوتار النفوس وزلزلت

(١) 'حياة شبلي' - للمترجم له : ص/٤٥٧-٤٥٨ ، و 'العلامة السيد سليمان الندوي' - للدكتور محمد نعيم الندوي : ص/٧٥-٧٦ ، و 'حياة سليمان' - للشيخ معين الدين أحمد الندوي : ص/٢٩ .

الأذهان ، وزعزت أيوان الباطل ، كان السيد بارعاً في العلوم كلها ، والفنون أجمعها ، كان بحراً لا ساحل له ، وكان عندليب العلم يتغرد على كل غصن يريد ، وكان حاذقاً في الفنون السائدة المتداولة كلها من تفسير وحديث ، و فقه وأدب ، وفلسفة ومنطق ، وكلام ولغة ، وكان يعترف بتبحره في العلوم الأعداء ولأصدقاء على السواء .

ونظراً إلى هذه الحقيقة الباهرة ، واعترافاً بمنزلته السامية في العلوم والفنون منحتة جامعة عليكره شهادة الدكتوراة الفخرية سنة ١٩٤٠م ، وقد كان قاضي القضاة لولاية "بوفال" من ١٩٤٦م إلى ١٩٥٠م ، وبذلك ستعرف تلك المنزلة السامية والمكانة العالية التي كان يحرزها السيد بين العلماء والمفكرين والقادة السياسيين .

وستعرف نبوغه وتبريزه في كثير من فنون العلم في ضوء ما قاله الشاعر الحكيم ورائد النهضة الإسلامية في الهند ، البارع في العلوم الشرقية والغربية على السواء ، المفكر الإسلامي الدكتور محمد إقبال رحمه الله عن هذا الإمام الجليل الشأن .

فقد كان في طبيعة المادحين لفضل السيد ونبوغه ، وكان في مقدمة المعترفين بكفاءته المتنوعة ، وبراعته الشاملة الكاملة ، حتى الدكتور أظهر عن نفسه ، كأنه تلميذ له ، في مواضع كثيرة ، ومناسبات عديدة ، وكتب إليه مرات كما يكتب التلميذ السعيد إلى الأستاذ الشفيق البارع ، ولكي يكون القارئ على بينه من هذا الأمر ، نريد أن نقدم عدة رسائل ، تدل على اعتراف الدكتور بنبوغ السيد العلمي ومكانته البارزة في العلوم والفنون .

فالدكتور يكتب إليه ، و يظهر على نفسه أنه تلميذ له ، في رسالة أرسلها إليه ، فيقول : أرجو أن تتكرم بالإشارة إلى النقاط والمعانيب الواقعة في كلامي ، و إن كان هذا يكلفك مشقة ، و لكنني استفيد

وكان الدكتور محمد إقبال رحمه الله إذا رأى أي كتاب صدر عن قلم السيد سليمان الندوي ، فكان يهتز به فرحاً وسروراً ، ولما اطلع على كتاب "سيرة عائشة" كتب إلى العلامة : أنا مدين لك لأجل "سيرة عائشة" ليست هي هدية سليمانية ، بل إنها كحل سليمانتي ، لقد استفدت منها كثيراً ، وزاد علمي بمطالعة هذا الكتاب - جزاك الله خيراً - (٢) .

ولما نظر إلى كتابه : "الخيام" تأثر به شديداً ، وكتب إلى العلامة : لا يمكن أن يضاف إلى هذا الموضوع إلى سنين طوال" (٣) .

إن الاحترام البالغ ، والتقدير العظيم الذي كان يضمه الدكتور للعلامة ، يدل عليه رسالته التي كتبها إليه ، وجاء فيها : إنك أستاذ الجميع بعد العلامة شبلي رحمه الله إني لأستفيد بنقدك" (٤) .

ويكتب إليه - وهو يشيد بمكاتبه العلمية - : "من هو إمام العلوم الإسلامية والفنون الدينية في الهند إلا السيد سليمان الندوي" (٥) .

وقد اعترف في رسالة بسيرته الفاضلة بالكلمات الآتية : "إنك الذرويش الرباني الذي يجاهد في الله حق جهاده ، ويجبي الخراج من الملوك ، وهو يلبس ملابس رثة ، ويعيش في الخلوة مع أنه ينصب حبالته على الشمس والقمر ، ويفكر في خلق الله بقلب واع ، وينظر إليه بعين نافذة ، ويكون في خلوة ولكن يتابع أحوال الزمان والمكان بدقة ، ويكون مع الأصدقاء كالحرير في النعومة ويكون مع الأعداء كالحديد في الصلابة" (٦) .

(١) انظر : 'إقبال في مدوح علماء' - للقاضي أفضل حق القرشي : ص/٥١ .

(٢) انظر : 'إقبال نلمه' ك ص/١١٣ . (٣) 'السيد سليمان الندوي' - لخلق أنجم : ص/١٣ .

(٤) 'نوج كوثر' - للشيخ محمد إكرام : ص/٣٤٧ . (٥) 'مكتيب إقبال' : ج/١ ، ص/١٦٦ .

(٦) 'نبيس بڑے مسلمان' لعبد الرشيد أرشد : ص/٨٥٦ .

ويعترف بخدماته العلمية الجليلة ، فيقول : "إن السيد سليمان الندوي يحتل اليوم المكانة العليا في حياتنا العلمية ، إنه ليس بعالم فحسب ، بل إنه أمير العلماء ، إنه ليس بمصنف فحسب ، بل إنه رئيس المصنفين : إنه بحر العلوم والفنون ، تفجرت منه أنهار كثيرة ، وسقيت منها حقول يابسة عديدة" (١) .

وكان الدكتور محمد إقبال حينما تواجهه أي مشكلة في قضية علمية شائكة ، يرسل العلامة السيد سليمان الندوي ، وكانت تحصل له سكينه واقتناع بجوابه ، فمثلاً هو يكتب إليه : "إن رسالتك زادت في طمأنينة القلب ، وأذهبت الاضطراب الفكري" .

ويكتب في رسالة أخرى : "تلقيت رسالتك الكريمة ، وأنا مدين لك لأجل المعلومات التي أرسلتها إلي ، وإن أتاح لي الدهر الفرص فهي تكفي للحياة كلها" .

ويكتب في رسالة ثالثة : "إنك تعذر إلي عن طول كتابك ، ولكن كتابك الطويل لي فيه الخير والبركة ، جزاك الله خيراً ، قرأته مراراً ، ومع ذلك لم يذهب ظمئي ، فقلت : لغلام رسول مهر في البارحة أن يسمعي ذلك الكتاب" (٢) .

وقد كان الدكتور يعد انتقاد العلامة على أي مجموع شعري له نعمة عظيمة ، فمثلاً هو يكتب إليه : "تسلمت رسالتك الآن ، وقد كنت أرسلت بنفسى ، ديوان شعري "رموز بيخودي" إليك ، وأنا مدين لك لأجل الملاحظة والتعليق عليه" (٣) .

ويكتب إليه ، وهو يشيد بسعة نظر السيد ، وحصافة فكره : "إن

(١) انظر : "السيد سليمان الندوي" : ص/١٠-١١ .

(٢) انظر : "هذه الرسائل الثلاث في إقبال كى ممدوح علماء" : ص/٦٠-٦١ .

(٣) انظر : "كليات مكاتيب إقبال" - للبرنى : ج/١ ، ص/٧٠٥ .

العلامة السيد سليمان الندوي

كنت مُنحت تلك السعة في الفكر والنظر ، التي مُنحتها ، لاستطعت أن أخدم الإسلام شيئاً" (١) .

وكان الدكتور محمد إقبال يعد خطاب العلامة خزانة علمية ، وقد صرح بهذه الحقيقة بالكلمات التالية :

"إن رسالتك الميمونة مليئة بالمعلومات القيمة ، أنا شاكر لك جداً" (٢) .

وكان الدكتور يعد وجوده نعمة من الله على المسلمين ، فمثلاً هو يكتب إليه : "إن وجودك لازم جداً للمسلمين الهنود ، وأنا موقن بأن الله تعالى قد استجاب دعوات المسلمين ، لكي يستمروا في الانتفاع بعلومك" (٣) .

وكان الدكتور محمد إقبال يريد أن يستفيد أهل "بنجاب" من العلامة ، ولذلك فانه وجه إليه دعوة لتثريفه هذه البقعة (٤) .

ولكن السيد قد كان أعرض عن الدنيا وبهجتها ، وكان منعزلاً لأشغال علمية بدار المصنفين أعظم كره ، فما أجاب طلبه ، ونزح السيد في آخر حياته إلى "كراتشي" بباكستان ، واستوطنها ، وكان في آخر أيامه مصاباً بالتهاب وريدي ، فكان يواجه الصعوبة في التنفس ، وانتقل هذا العالم الجليل ، والمحدث الكبير ، والفقيه البارع ، والمتكلم الأمعى ، والأديب الأريب ، والمؤرخ الخبير ، والسياسي الجهد ، والأستاذ القدير ، والحاظ في التعليم والتربية ، والصحافي الناقد ، والشاعر الفطن ، والقاضي الحكيم ، و المفكر العبقرى ، إلى نمة الله تعالى في هذا المرض . في ٢٢/من نوفمبر سنة ١٩٥٣ م ، رحمه الله رحمة واسعة . وامطر على قبره شأبيب رحمته ، وجزاه عن الأمة الإسلامية التي خدمها بأقلامه وعلومه ، خير ما يجزي عباده الصالحين . (والله لا يضع أجر المحسنين)

(١-٢) انظر : "إقبال كے مدوح علماء" : ص ٦١ .

(٣) انظر : "إقبال نامہ" : ج ١ ، ص ١٩٧ . (٤) انظر : نفس المصدر : ٧٦/١ .